تمَّ المجمع الذي صار على يد البهي المعظم البطرك يوسف حليب العاقوري ابن بطرس في بلاد كسروان في دير مار يوحنا حراش في ٥ يوم كانون الاول سنة ١٦٤٤ مسيحيَّة والمطارين كل من عاود الى كرسيه ورعيته والكهنة الذين كانون مع الرهابين

اواخر الاقوال

لمشاهير الرجال

نبذة للشاب الاديب نجيب صبَّاغ وللاب لويس شيخو اليسوعي

تُعرَف طباعُ المرء واميالهُ اذا ما حانت منيَّتهُ . ففي تلك الساعة الرهيبة التي يشيب لها رأس الوليد تنقشع كلُّ الاوهام عن قلب الانسان فينتظر صدور حكم ديَّانهِ عليهِ إن ثوابًا او عقابًا فينطق اللسان بما يكنُّهُ الجنان . وليس مرادنا في هذه النبذة ان نصف سكرات الموت او ساعة الدينونة وانَّما نريد ان نذكر بعض اقوال تفوَّه بها قومٌ من مشاهير الرجال عند ساعة وفاتهم لانَّ آخر الفاظ الانسان كمختصر سيرتهِ ومرآة حياتهِ . وزيادةً للايضاح نقسم هذه النبذة الى اربعة اقسام نذكر فيها اقوال بعض الانبياء واولياء الله . ثمَّ ما فاه بهِ السلاطين والملوك . ثمَّ الفلاسفة والعلماء . ثمَّ مشاهير الرجال

١ اقاويل الانبياء واولياء الله

آخر كلمةٍ نطق بها السيِّد المسيح على صليبهِ قبل ان يسلم الروح مشيرًا الى تتمَّة النبوات فيهِ : « قد تمَّ »

قال النبي داود لابنهِ سليمان عند وفاتهِ (+١٠١٦ ق م) : « انا منصرف في سبيل اهل الارض فتشدَّد وكُن رجلًا واسلك في طريق الرب الهك واحفظ رسومهُ ووصاياهُ »

قيل آن آخر كلمة قالها سليمان الحكيم عند موتهِ ما جاء في آخر كتاب الجامعة : « اتَّقِ الله واحفظ وصاياهُ فانَّ هذا هو الانسان كلُّهُ »

قال العازر الكاهن لمَّا عرض عليهِ اصحابهُ ان يتظاهر باكل اللحوم المحرَّمة لينجو من الموت (+ ١٦٩ ق م) : « لا يليق بسنِّنا الرشاء . . . فأجاب على شيخوختي الرجس والفضيحة فاني ولو نجوتُ الآن من نكال البشر لا افرُّ من ايدي القدير لا في الحياة ولا بعد الممات »

كان الروح القدس وعد سمعان الشيخ ان لا يذوق الموت قبل رؤيتهِ المسيح. فلمَّا رآهُ ودَّع الحياة بقولهِ: « الآن تطلق يا ربّ عبدك بسلام فانَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك »

قال اسطفانُس الشهيد لمَّا كان يرجمهُ اليهود (+ ٣٤): « يا رب لا تُقم عليهم هذه الخطيئة »

لمَّا حُكم على القديس اندراوس الرسول بالصلب قبَّل صليبهُ (+ ٨٧) قائلًا: « رعاك الله أيها الصليب ما اشهاك منذ رقيك المسيح ربّي . . فليقبل عليك حياتي مَن عليك مات فداء عني »

لمَّا سأل المغتصب الشهيدة پرپاتوا (ومعنى اسمها خالدة) الافريقيَّة (+ ٢٠٢) أتُريد تجحد دينها اجابت: « أنا كاسمي خالدة لا اتغيَّر » — امَّا اخوها ساتورس فانَّهُ قبل موتهِ قال للحاكم: « انظر الينا وتحقَّق صورتنا لكي تعرفنا في يوم الدين »

قال القديس غريغور يوس السابع الحبر الاعظم اذ اكرههُ اعداؤهُ على الخروج من رومية فمات في النفي (+ ١٠٨٥): « اني احببتُ العدل وبغضتُ الجور فلذلك اموت في المنفى »

قال القديس بطرس القنطري مُصلح رهبانيَّة مار فرنسيس عند موتهِ (+ ١٥٨٠): « بارك الله في اعمال التوبة التي اهَّلتني لمجد هكذا عظيم »

٢ اقوال الملوك والسلاطين

لمَّا اصيب پيركاس بالطاعون (+ ٤٢٦ ق.م) قال لاصحابهِ الذين اتوا ليعودوهُ: « اتعرفون اكبر خير صنعتهُ في حياتي؟ هو انني لم ادع احدًا من شعبي يحزن على قريب »

قال اوغسطس الكبير على سرير الموت (+ ١٤ م): « هل احسنتُ تشخيص روايتي؟ . . . فان سركم لُعبُ دوري فصفقوا . . . »

قال نيرون لمَّا اضطرَّ على قتل نفسهِ (+ ٦٧) وكان يُعدُّ ذاتهُ ماهرًا بالفنون الجميلة لاسيَّما الموسيقى: « ايَّ رجل حاذقٍ بالفنون سوف يخسرهُ العالم بموتي »

قال قسپسيان (+ ٩٠) وهو يطلب ان يوقفوهُ على سريرهِ عند موتهِ: « يجب على الامبراطور ان يموت واقفًا ». وهذا ما قالهُ آخرًا البابا لاون الثالث عشر قبل وفاتهِ

قال مرقس اوريليوس قبل موتهِ (+ ١٨٠): « هيَّا على الشغل »

قال سپتيميوس ساويرس لمَّا شعر بقدوم الموت (+ ٢١٤) : « قد كُنتُ كلَّ شيء وأرى كل شيء باطلًا »

يُنسَب ليولیانس الجاحد لمَّا رُشق بسهم في حرب الفرس (+٣٦٣) قولهُ : « قد غلبتَ أيها الناصري »

ومِمَّا روى كتبة العرب عن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنَّهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة (+٧٢٠) قال : « اللهمَّ أنَّك امرتني فقصَّرتُ ونهيتني فعصيتُ وانعمتَ عليَّ فافضلتَ فان عفوتَ فقد مننت وان عاقبتَ فما ظلمت »

ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة (+ ٧٤٣) نظر الى اهلهِ يبكون حولهُ فقال : « جاد لكم هشام بالدنيا وجُدتُم لهُ بالبكاء . وترك لكم ما جمع وتركتم عليهِ ما حمل . ما اعظم منقلبَ هشام ان لم يغفر الله لهُ »

ولمَّا حانت ساعة الرشيد (+ ٨٠٩) وهو في طوس قد خرج لمحاربة بعض الخوارج قال : « انَّ كلَّ حيّ مَيِّت وكلَّ جديد بالٍ وقد تزل بي ما ترون . وانا اوصيكم بثلاث : الحفظ لامانتكم والنصيحة لأئمتكم واجتماع كلمتكم »

وقال المأمون وهو سائر الى محاربة ملك الروم فمات قريباً من طرسوس (+٨٣٣) : « يا من لا يزول ملكهُ ارحم من يزول ملكهُ . يا من لا يموت ارحم من يموت »

وانشد الخليفة المعتضد قبل وفاتهِ (+٨٩٢) :

ولا تأمننَّ الدهرَ اني امنتُهُ فلم يُبقِ لي خلًّا ولم يرعَ لي حقَّا
ولمَّا بلغتُ النجمَ عزًّا ورفعةً وصارت رقابُ الخلقِ اجمع لي رقًّا
رماني الردى سهماً فاخمد جمرتي فها انا ذا في حفرتي عاجلًا ألقى

وقال كلوتير الاوَّل ملك فرنسة (+٥٦١) : « ما عسى ان يكون ملك السماء الجبَّار الذي يميت هكذا اعظم ملوك الارض »

وكان آخر كلام قالهُ كرلس الكبير ملك فرنسة (+٨١٤) : « الهي اني استودع نفسي بين يديك »

واوصى هوغ كابيت ملك فرنسة ابنهُ روبرت قبل وفاتهِ (+٩٩٧) : « اوصيك فوق كلّ شيء بالّا تحيد مطلقاً عن ايمان الحبر الروماني . فانَّهُ وحدهُ يقودك الى ذاك الذي يدين الاقوياء والضعفاء معاً ويبلّغك مرفأ الخلاص »

ولما شعر بالموت هنريكس الرابع ملك المانية (+١١٠٦) ارسل سيفهُ الى ابنهِ الذي كان قد انزلهُ من تخت المُلك قائلًا: « هذا كلُّ ما ابقيتهُ لي »

ولمَّا أُصيب القديس لويس التاسع ملك فرنسة بالطاعون قريباً من تونس (+١٢٧٠) جعل يردّد: « اورشليم سنذهب الى اورشليم . . . يا ربّ ادخل في مقدسك واسجد لك في هيكلك واعترف لاسمك القدُّوس »

وآخر ما فاه بهِ هنريكوس الثاني ملك فرنسة وكان قُتل في لُعب المصارعة (+١٥٥٩): « يا ابني اني اوصيك بالكنيسة و بشعبي »

ولمَّا ضرب الاثيم جاك كليمان الملك هنريكوس الثالث ملك فرنسة (+١٥٨٩) صرخ الملك: « فليُقتل القاتل »

وقال كرلوس الاوَّل ملك انكلترة لمَّا حُكم عليهِ بقطع الرأس (+١٦٤٩): « ها اني اترك تاجاً يفسد و يفنى لأنال تاجاً لا يفنى »

وقال لويس الرابع عشر المعروف بالكبير (+١٧١٥): « ما كنتُ لأظنَّ انَّ الموت عذبٌ هكذا ». ثم قال للحضور الذين كانوا يبكون على فراقهِ: « ما لكم تبكون اتظنُّون باني خالد ليس خالد الَّا الله تعالى »

وآخر ما تلفَّظ بهِ لويس السادس عشر قبل قتلهِ (+١٧٩٣): « اني اموت بريئاً من كل الآثام التي نُسبت اليَّ زوراً واغفر لكل من سعى بقتلي و يا ليت دمي لا يعود ابداً على فرنسة »

ممَّا قال نابوليون الكبير قبل موتهِ (+١٨٢١): « اني اموت في حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة الرومانيَّة. كما اني في حجرها ولدت قبل خمسين سنة . . . » وقال لطبيبهِ انطوماركي: « انتم معشر الاطبَّاء تعوَّدتم معالجة اللحم فلا ترون ما وراء اللحم. امَّا انا فاعترف بخلود النفس » . . ولما فقد رشدهُ قبل موتهِ بقليل اخذ يصرخ كأنهُ في ساحة الحرب « يا بنيَّ . . . فرنسة ! فرنسة ! الجيش . . امام . . . » ثمَّ مات

٣ الفلاسفة والعلماء

شيشرون الخطيب الروماني (+١٠٦ ق.م) قال قبل ان يُقطع رأسهُ: « يا علَّة العلل ارحمني »

كان ابن سينا يدبّر نفسهُ فلمَّا قوي عليهِ المرض الاخير (+١٠٣٦) اهمل مداواة

نفسهِ فقال: «انَّ المدبّر الذي كان يدبّرني قد عجز عن التدبير والآن لا تنفع المعالجة»

قال غوث الشاعر الالماني الشهير على سرير موتهِ: (+١٨٣٢) «النور؟ النور؟ دائمًا بلا نور»

و يروى عن هوپ الفيلسوف الانكليزي انهُ قال للذين كانوا محدقين بسرير موتهِ (١٦٧٩): «آه ايُّها الاصحاب ايّ قفزةٍ ساقفزها من الدنيا الى الابديّة»

وآخر ما قالهُ ذو الرمّة الشاعر (+٧٣٦):

يا مُخرج الروح من جسمي اذا احتُضرت وفارجَ الكربِ زَحزِحني من النار

ودخل غانم الورّاق على ابي نواس ساعة وفاتهِ (+٨١٤) فقال لهُ: اكتب:

دبَّ في السقامُ سُفلًا وعُلوا وارانيَ اموتُ عضوًا فعضوا
لهفَ نفسي على ليالٍ وايّا مٍ تجاوزنَ لعبًا ولهوا
قد اسأنا كلَّ الاساءة فاللهمَّ صفحا عنَّا وغفرًا وعفوا

ولمَّا احسَّ ابو العتاهية بالموت (+٨٢٧) اخذ يكرّر قولهُ:

الهي لا تعذّبني فاني مقرٌّ بالذي قد كان مني
فكم من زلَّةٍ لي في الخطايا وانت عليَّ ذو فضلٍ ومنِّ

٤ اقوال لبعض مشاهير الرجال

قال انيبال كبير القرطجنيين وعدوّ الرومان لمَّا شرب السمّ لينجو من الرومانيين (+١٧٣ ق.م): فلنخلصنَّ الرومان من الخوف الذي استحوذ عليهم من شيخٍ مثلي

قال يوليوس قيصر لما تألّب عليهِ اعداؤهُ ليغتالوهُ (+٤٤ ق.م) ورأى بينهم بروتوس: «وانت ايضًا يا بروتوس» وسقط ميتًا

قال غوستاف ادولف لمَّا مات في لُتزن (+١٦٣٢) بعد انتصارهِ على النمسويين: «لغيري الدنيا»

قال الوزير كولبر عند وفاتهِ (+١٦٨٣): «لو كنت صنعت في خدمة ربّي نصف ما صنعتهُ لملكي ما كنتُ مرتابًا في خلاص نفسي. امَّا الآن فلا اعلم الى اين مصيري»

قال الماريشال دي لكسمبورغ لمَّا حضرتهُ الوفاة وسألهُ لويس الرابع عشر: قُلْ لي ماذا تريد؟ قال: «ساعة حياةٍ»

وقال الفارس البطل بيّار وهو ينازع للامير دي بوربون الذي خان وطنهُ وكان

يتأسف على موته (+١٥٢٤) : « لا ترثِ لحالي لاني اموت بفعل البرّ ولكن ارثِ لحالك اذ حنثتَ بعهودك وخنت وطنك ومَلِكك»

قال ڤولتير (+١٧٧٨) الكاتب الشهير والكافر العظيم (نقلًا عن رواية طبيبه): « اني اموت مهملًا من الله والناس »

لمّا سيقت المادم رولان الى الموت (+١٧٩٣) قالت صارخة .« أيّتها الحرّية كم من اثم يقترفهُ البشر باسمكِ »

لما ضرب احد اعداء الهيئة الاجتماعيّة غرسيا مورينو رئيس جمهوريّة خط الاستواء بمدية صرخ قبل موته (+١٨٧٥) : « انَّ الله لا يموت »

وكانت الكلمة الاخيرة التي فاه بها البابا لاون الثالث عشر قبل وفاتهِ السعيدة (+١٩٠٣) : « قد اتممتُ المهمّة التي عهدها الله اليّ »

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الحادي عشر

خاتمة عالم (تابع)

فبعد ان استولى الرومان على قلعة انطونيا اخذوا يستعدُّون لمحاربة الملجإ الاخير الذي بقي لليهود في اورشليم ألَا وهو هيكلهم الفخيم المعدود من احدى آيات العالم السبعــة

فوجّهوا همّتهم الى سطوح الهيكل ليدمّروها تدميرًا الواحد بعد الآخر . فعادوا الى ابتناء مصاطب تمكّنهم من نصب المجانيق عليها . وبعد أيّام قليلة اصطنعوا منها ثلاثًا على ثلاث جهات من المدينة غربيّها ثم شمالها ثمّ على الزاوية الجامعة بين هذين الجانبين فركّبوا عليها ادوات الحصار من كبوش ودبّابات ومجانيق كانت تنطح الاسوار وتقذف بالحجارة على من يحاول المدافعة عنها او لم يتّق بنفسهِ من شرّها

وكانت المجاعة في مطاوي ذلك تعمل عملها فتنهك قواهم وتقتلهم أذرع قتل. وفي ١٢ تموز لم يَعُد الكهنة يجدون الذبائح المسنونة بالشريعة فبطلت الذبيحة الدائمة التي لم تبطل منذ عهــد سليمان الّا في أيّام جلاء اليهود الى بابل وفي أيّام انطيوخس